

موضة اللباس Fashion dress

بن معمر عبد الله

¹ جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان (الجزائر)، benmamarabdallah3@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025-03-06 تاريخ القبول: 2025-06-25 تاريخ النشر: 2025-06-30

ملخص:

يضطلع اللباس الذي ابتكره الإنسان من أجل أن يغطي جسده، بوظائف عديدة تتعدى وظيفته الطبيعية المتمثلة في الحماية. ونظرا لأهميته في حياة الإنسان فقد أولته العلوم الاجتماعية عناية خاصة، وجعلته موضوعا يستحق البحث والدراسة. والدراسة المتعلقة باللباس تندرج ضمن دراسة الموضة، هذه الأخيرة تنطوي على أبعاد فنية واقتصادية واجتماعية ورمزية.

الكلمات المفتاحية: اللباس؛ الموضة؛ البعد الاقتصادي؛ البعد الاجتماعي؛ البعد الثقافي.

Abstract :

The clothing created by man in order to cover his body performs many functions beyond its natural function of protection. Due to its importance in human life, the social sciences have given it special attention and made it a topic worthy of research and study. The study related to clothing falls within the study of fashion, the latter involving artistic, economic, social and symbolic dimensions.

Keywords: Dress; fashion.; economic dimension ;social dimension ; culturel dimension

المؤلف المرسل: بن معمر عبد الله، الإيميل: benmamarabdallah3@gmail

1- مقدمة:

مثل اللغة، اللباس يفتن بعالميته وبالتنوع الأقصى للأشكال التي يمكن أن يأخذها من مجتمع لآخر، أكثر ربما من اللغة، يبدو اللباس مرتبطا بالتنوع البشري. أهميته مكرسة باهتمام المؤرخين، والفولكلوريين، و الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع وعلماء التكنولوجيا. ترى ما هي الوظائف التي يؤديها اللباس في حياة الانسان؟ وما هي الأبعاد التي تحملها الموضة؟

2. الجسد واللباس:

طورت الحضارات الكبرى الحالية تابو عجيب تجاه الجسد الإنساني، لقد أصبح الجسد مقدسا وغير قابل للمس وهذا التابو يتأبد في الديانات التوحيدية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام. في الثقافة المسيحية مثلا، اعتبر الجسد كشيء خطير، فرصة للإغواء، إنه يقود حتما إلى الجنسية وإذن إلى الحرام وإلى الهلاك الأبدي: وعليه يجب إبقاؤه بعيدا مخفيا والبقاء بعيدا عنه قدر الإمكان. الإنسان إذن يعيش بعيدا عن جسده الخاص وزيادة على ذلك عن أجساد الآخرين.

خلال العصر الوسيط، تشريح الجثة كان غير معقول. الجسد يمتلكه الخالق وهو مقدس. تقطيع جسم بشري ميت اعتبر من قبل المجتمع على أنه تدنيس. على العكس وبشكل مفارق، هذا المجتمع نفسه يحكم على أن تقطيع بعض الأجسام الحية شيء عادي، ويتعلق الأمر بغير المؤمنين أو الكفار والمهرطقة.

فقط هذه الأجساد التي نقطعها حية مكسوة، وهو ما يغير كل شيء، ذلك أن ما هو فضيع ليس تقطيع جسد بشري، بل تقطيعه وهو عار مثلما نفعل ذلك لجسم حيواني.

عنوان المقال: موضة اللباس

الاكتشافات الأولى الأدبية أوردت قصصا عن كائنات غريبة: عمالقة، أقزام، أناس سود أو صفر، رجال بأذيال، رجال موشومون، رجال عراة، عنصر مشترك في كل هذه القصص: هو الاعتراف أن الجسد أكثر أهمية في كل المجتمعات مثل المجتمع الغربي.

الأوروبيون اكتشفوا هكذا حضارات حقيقية للجسد. المجتمع الغربي معتبرا الانفصال الواضح بين الجسد الخسيس والروح الشريف، اكتشف طريقة جديدة في الحفاظ على الإنسان. مدشنا بواسطة فلاسفة الأنوار، هذا التصور الجديد صار مدركا جيدا في المجلدات الست وثلاثين لـ"التاريخ الطبيعي للإنسان" لبوفون Bouffon الذي رسم اللوح الشامل للعلم الطبيعي للجسد البشري، علم سيصير الأنثروبولوجيا الفيزيائية.

هذا قاد قرنا ونصف من بعد إلى عمل مارسيل موس الذي اكتشف كم أن الجسد هو الظاهرة المركزية لكل ثقافة. لقد أقام سنة 1934 مفهوم تقنية الجسد الذي عرفه كفن استعمال الجسد الإنساني. وأعطى كأمثلة أفعال السباحة، والصيد والمشى والجري. منذ ذاك الوقت، مع هدف تحقيق جرد ووصف كل الاستعمالات التي يقوم بها الناس، خلال التاريخ وعبر العالم. في القيام بها على أجسادهم موس رسم لوحة لدراسة إتنولوجيا تقنيات الجسد، حسب الجنس والأعمار والمردودية والنقل، تقنيات الولادة، والطفولة والمراهقة وسن البلوغ (النوم، الأنشطة والحركة، علاج الجسد، الاستهلاك، إعادة الإنتاج) الجسد الذي إلى غاية ذلك الوقت كان موضوعا بسيطا للفضول من قبل الأنثروبولوجي انتهى بأن يتكشف بشكل أساسي في ثقافة ما.

والحال أن الشيء الذي يصدم الملاحظ هو عدم وجود أي شعب عار بشكل كامل، لا وجود لمجتمع يحتفظ أفراداه بالوجه الطبيعي لأجسادهم. عند الولادة، يطبع الكائن البشري ويتلقف بالاجتماعي، كما لو أن تعريه الأصلي كان غير محتمل، بل خطيرا. منذ الأيام الأولى يستولي المجتمع

بن معمر عبد الله

على الطفل، يلبسه، يتحكم فيه، يشكله، يشوهه، يحوله ممارسا عليه أحيانا بعض العنف. بعض المجتمعات تضع بعض الادوات المتطورة من اجل تعديل المظهر والبنيات الفيزيائية، وذلك من أجل تحقيق تصورها للجمال المرغوب. زيادة على العناية الأولية، ثمة ميل عميق وعالمي يتعذر سبره يدفع العائلات، والعشائر، والقبائل، والمجتمعات إلى تعديل المظاهر بسرعة.

صحيح أن الجسد يتمثل بمادة أولى مطواعة، قابلة للتطريق وقابلة للتحويل. نوع من العجين الذي يشكل ويطوى بانقياد للواجبات والرغبات الاجتماعية.

الجسد الإنساني يشكل حاملا مثاليا من أجل النقوش ويمنح مساحة من جلده لكل الطبوع ممكنا من تمييزه عن الحيوان. إنه يمنح تلقائيا جنبه للوشم والأصبغة والتشطيبات من أجل أن يتحول بطريقة جلية وسهلة إلى جسد اجتماعي.

متخلصا من المشيمة، يولد الإنسان عاريا إنه لا يغطي أبدا بالشعر ولا بالريش ولا بالحرشف ولكنه سيخترع اللباس المصنوع من الشعر والريش والحرشف وحتى من الجلد.

عصرنا مطبوع ببروز ظاهرة حديثة نسبيا هي موضوعة التعري، التي تظهر خاصة في نزعة التعري والنزعة الطبيعية، هذه الأخيرة تم تعريفها على أنها طريقة في العيش في تناغم مع الطبيعة متميزة بممارسة التعري في المجتمع، من أجل تفضيل احترام الذات نفسها واحترام الآخرين والبيئة.

مولودة في نهاية القرن 19، هذه الموضوعة أخذت انطلاقها في بداية القرن 20 في فرنسا وألمانيا واسكوتلندا. حوافز المتبنين للتعري عديدة (نفسية، صحية، اجتماعية، سياسية ولكن أيضا إيروسية وطبية) ولكن اللباس يعاش في الغالب كأداة للفصل، للتمييز والاضطهاد ويصبح حتى رمزا لكل ما لا يسير جيدا لدى الإنسان وفي المجتمع. بالتعري نبحت عن التحرر من الاغتراب الاجتماعي.

غالبا ما استعمل التعري خلال الأنشطة العسكرية من أجل جلب انتباه الرأي العام حول مطالب متنوعة، العاري استعمل كعلامة للاعتراض ضد النظام الاجتماعي، بعد قرون من التابو الذي

عنوان المقال: موضة اللباس

شكله الدين بشكل أساس، هذا الوصول إلى التعري يمثل انتصارا مهما وذا دلالة عالية. بالنسبة للمتعرين، هذا التعري يشكل من جهة مرحلة من التاريخ التي تطبع توافق الإنسان مع الطبيعة، ومن جهة أخرى، بعد أن تم منذ زمن بعيد فعل كل شيء من أجل رؤية صورته الخاصة غير محتملة للإنسان المتعري، يسجل انتصارا للإنسانية التي تتجرأ في النهاية من جديد على النظر إلى نفسها وأن تقبل أن ينظر إليها كما هي. (Alain Bajomée, 2012, p. 56)

2. الوظائف الرئيسية للباس:

وجهة النظر الإتنولوجية لا تذهب إلى عدم اعتبار اللباس كشكل بسيط، ولكنها تفحص العلاقات التي بقيمها على كل أوجه الثقافة الأخرى، مقدمة نقاط صلبة. هذه العلاقات في الواقع بتنوعها الكبير ليست بعدد غير محدود، الحالات الملاحظة في مجتمعات مختلفة يمكن أن تقود، من تبسيط مفرد إلى عدد صغير من المقولات. بعض المفاهيم مثل الوظيفة تبدو ملائمة في أي مكان. سواء تعلق الأمر بالأهمية الاقتصادية للباس، ومكانته في الطقوس، واستعماله كحامل للعلامات، لدينا هنا إطار مفاهيمي حيث الواقع الملاحظ داخل مجتمع جغرافيا وثقافيا بعيدا جدا يمكن أن تأتي لتأخذ مكانها في تناغم.

إذا كان وصف شكل الثياب يجب أن يترك هنا جانبا فإنه ليس من اللازم مع ذلك، إعطاء في مقدمة لمحة عن تعقيد الميدان، نأخذ كمثال محاولة التصنيف التكنولوجي على السلم العالمي التي باشرها متحف الإنسان.

أول وظيفة يحققها اللباس تتعلق بالحماية. وإن لم تكن هذه الوظيفة إحصائيا الأكثر أهمية، ولا تاريخيا. هذه الأولوية أكدها العديد من الكتاب (وإن كان ر. بارت Barte. يرفض ذلك حيث أن الإنسان اكتسب من أجل ممارسة وظيفته الدلالية).

بن معمر عبد الله

بحمايتها للإنسان ضد الأخطار الخارجية، تحول الثياب، التكيف للإنسان مع الوسط الطبيعي حسب الحالات، فإنها تضمن الحماية ضد الحرارة والبرودة والرياح، والنباتات، والحيوانات، هذا التكيف يجري بطريقة إلى حد ما بارعة، درجة التبعية إلى حد ما لقسوة اكراهات الوسط.

يمكن أن نطبق مع ذلك على الثياب القول المأثور لليفي ستروس فيما يتعلق بالوظيفة الاجتماعية. القول أن الثياب يغطي وظائف عملية، بشكل خاص الحماية هو تقريبا تحصيل حاصل، ولكن القول أن كل ما في الثياب يفسر من وجهة النظر الوظيفية هذه هو سخف. عدد كبير من الأمثلة المستقاة من كل الثقافات، يبرهن أن هناك اعتبارات أخرى، تتعلق بالجمال وبالاختبار الاجتماعي، بالمعتقدات الخاصة بكل ثقافة، بمعنى اعتبارات تنتمي إلى ميدان القيم يمكن أن تأتي لتعرق بدرجات متفاوتة الأوجه العملية الخالصة، لا يمكن أن نعرف من جهة أخرى، تقييم أهمية هذه الخاصية للوسط الطبيعي أو تلك إذا نسينا أن درجات الحساسية تختلف بحسب السكان لأسباب ليست فقط ثقافية ولكن أيضا فيزيولوجية، تحمل البرودة لدى بدوي ليس هو نفس التحمل لدى اينوي Inuit وكذلك وظيفة مثل الحماية لا تقتضي أيضا علاقة ضرورية بين هذه الخاصية المناخية وهذه الخصوصية المتعلقة باللباس.

1.2 الحماية الأخلاقية:

إلى جانب الحماية الطبيعية يغطي اللباس أيضا وظيفة أخرى، إننا نريد أن نختمي من نظرة الآخر. إنه يمكن من إخفاء الإنسان لجسده ويصبح عندئذ علامة على الحشمة والتحفظ والأدب والاحترام. ولكن إذا كان الاحتشام له وظيفة تغطية الشخص فإنه أيضا مثير جمالي وإيروسى.

الحشمة واللباس محملان أيضا بدلالات جنسية إلى حد ما واعية، المسيحية بواسطة التناقض الجذري الذي تقيمه بين الجسد والروح، تؤكد أن الاهتمام المنصب على الجسد مضر للروح إلى درجة أن في عصر النهضة مثلا كان من يأخذ حمامه وهو مرتد لباسه يقوم بذلك من أجل الخلاص من

عنوان المقال: موضة اللباس

الحرام. الحشمة تم عيشها كتجللحرم يضغط على الجنس، إنها ترغم اللحم على الاختفاء. في الأساطير المسيحية يؤكد التكوين: كلاهما كان عاريين، الرجل وزوجته، ولم يكونا أبداً ينجحان، ولكن هذا كان لفترة قصيرة، الأفعى المغرية تدخلت وعبر وساطة المرأة، تمكنت من إفساد الرجل وعندئذ يشعران أنهما كانا عاريين وطفقا يخسفان على أنفسهم من أوراق التين وجعلوا أحزمة. عندما أكل آدم وحواء من شجرة المعرفة التي حرمها الله عليهما، ارتكبا بذلك محرم فقدان البراءة، العري في الأصل تم عيشه كحالة أخلاقية من البؤس والعار.

2.2 الوظيفة السيميولوجية Simiotique

التأكيد أن اللباس يشكل لغة هو قضية مبتذلة، زيادة على الرغم من أنها مجازفة بحتة. الحديث عنه علمياً يثير صعوبات حقيقية. ثوب النساء البربريات في الأطلس حيث التحديدات الثلاث الحمراء تذكر بجرمة القتل، وثلاث طعنات الخنجر بالسلف الأسطوري. ثياب المرأة اللابونية حيث غياب الطوق Col الأيمن يسمح بتمييزها عن مماثلها الذكر، قصة شعر المرأة العازبة لدى الجماعة القروية الأوروبية، وثياب المتادور (مصارع الثيران) من المحتمل أنها تستجيب لوظائف مختلفة حيث التحديد الصعب يشير مشكل الوظائف المتعددة للغة. يجدر بنا هنا التمييز بين وظيفة سيميولوجية تستعمل في كل مرة حيث أن اللباس يرتدى من قبل أعضاء جماعة معينة يمد الأعضاء الآخرين، بمعلومات تكون ضرورية لهم من أجل تنظيم سلوكهم، ووظيفة رمزية، في الحالات حيث اللباس يكون وسيلة للتعبير أكثر منه وسيلة للتواصل.

بعض الحالات تكون زيادة على ذلك غامضة، سواء تعلقت في وقت واحد أو بالتعاقب بالميدانين معاً، وإما أنها تقع على حدودهما.

بن معمر عبد الله

في كل المجتمعات، استعمل اللباس من أجل نقل المعلومات الأكثر تنوعا، هذه الوظيفة السيمولوجية لم تختف أبدا من عاداتنا الخاصة ولكن تلك التي ترتدي في المجتمعات التقليدية هي التي تمنح العلامات الأكثر تعددا والأكثر تعقيدا والأكثر صورية، إجراء إحصاء لها بحثت مختلف الثقافات عن نقله بهذه الطريقة يعود إلى التمييز بين أربع فئات كبرى من المدلولات التي تغطي عددا كبيرا من الوقائع. اللباس يمكن أولا من أن يعلم عن الحالة البيولوجية للشخص الذي يرتديه (الجنس والعمر بشكل رئيس) ووضعيته داخل الجماعة: وضعية عازب، رجل أو امرأة متزوجان ولكن أيضا المرأة الزانية أو الشابة التي لم تكن عذراء يوم زفافها. إنه يمد بالمعلومات عن الانتماء إلى جماعات وجماعات فرعية، حيث تعدادها يحيل إلى التنظيم الاجتماعي الخاص بكل جماعة، مستحيل هنا غالبا جدا أن يشير إلى المركز وإلى الغنى. كمثال عن الطريقة التي يشير بها اللباس إلى العمر يمكن أن نذكر الكيمونو الياباني.

اللباس يمكنه أن يمدنا أيضا بالمعلومات عن أشخاص آخرين مثل حامله، غالبا الزوج أو الأطفال: جنس الأطفال، دخولهم إلى المدرسة، زواجهم، المهنة، أو الحالة الاجتماعية للزوج، سوء سيرة الزوج، وجود أو غياب الزوج أو حتى أعضاء آخرين من الجماعة.

فئة ثالثة تقفز على الفئتين السابقتين يجب أن يحتفظ بها للحالات التي لا يمكن أن تصنف في أي منهما. المعلومات تتعلق في الوقت نفسه بمرتدي البدلة، وشخص آخر والعلاقة القائمة بينهما. هكذا في هنغاريا مثلا بعض البدلات تشير إلى عمر المرأة بالنسبة لعمر زوجها. ولكن الأمثلة العديدة تتعلق ببدلات الحداد. مشيرا إلى موت قريب، يمكن للباس أن يظهر في الوقت نفسه مركز الشخص الذي هو في حداد، إن تلك البدلات، تترجم تنسيقا معقدا ومتغيرا للعديد من السمات: درجة القرابة مع الميت والمدة المنقضية منذ الجنازة ولكن أيضا الجنس والعمر ومركز الشخص في الحداد وأيضا عمر الميت وظروف الوفاة.

عنوان المقال: موضة اللباس

فئة رابعة تجمع كل ما لا يتوقف على الأفراد ولكنها تحيل إلى التقسيم الاجتماعي للفضاء. البدلات الجهوية والزمن: بدلات بالنسبة للأيام العادية، بدلات لمختلف الحفلات، بدلات فصلية. الانتماء الجهوي الذي يقرأ في البدلات التقليدية هل يشكل حقيقة علامة؟ الجواب عن هذا السؤال قابل للتأويل. عندما يكون لجماعة اتصال أو لا يكون لها اتصال بجيرانها، فعل ارتداء اللباس بهذه الطريقة أو تلك من المحتمل أن لا يكون له قيمة علامة مثل العلامة عند الكلام بهذه اللغة أو تلك، ما عدا في بعض الظروف الخاصة: معارض، أسواق، حفلات حيث يلتقي أعضاء الجماعات المختلفة. الأمر يجري بشكل مختلف عندما تكون الاتصالات شائعة أو دائمة: في هذه الحالة اللباس دون شك بشكل عام له وظيفة التمييز، الواعي تماما لدى من يرتديه. يمكن ان يحدث أن أهمية اللباس كعلامة على الانتماء إلى جماعة تكون تلك التي تجعل منها معيارا حاسما. ليس ماتيو إلا من لبس لباس ماتيو Matyo هكذا يقول أهل مازوكوفرز بهنغاريا.

عندما تمتلك بدلة ما وظيفة علامة، فإنها تكون مؤسسة على التفاوض عن وجود علاقة بين وجهها (الهيئة، التزيين، طريقة ارتدائها) وطبيعة ما تحيل إليه. ملاحظة أولى تقود إلى الاستنتاج إلى ما يسميه اللسانيون والسميولوجيون تحكيمية العلامة.

في مقاطعات قروية متجاورة، نفس الشريحة يمكن أن تتخذ هنا من قبل الشابة المتزوجة، وهناك من قبل امرأة في حالة حداد، بدلة امرأة عازبة تصبح في بعض الأماكن البعيدة خاصية للفتاة العذراء. مع ذلك التمثيلات الخاصة بكل جماعة تميل بشكل شائع إلى الجمع لبعض العناصر المتعلقة باللباس، عناصر مرافقة تجعل الاعتقاد في وجود رابط، بين وجه البدلة وما تدل عليه، من بين العناصر التي نصادفها غالبا هناك اللون. في العديد من البدلات الشعبية الأحمر يرتبط بأفكار السعادة، والشباب، والصحة، والرخاء ويتجلى كثيرا في بدلات الفتيات الشابات. اللون الأسود، على العكس، يرتبط

بن معمر عبد الله

بأفكار الحزن أو الشقاء ولهذا فهو يلبس في بدلات الحداد. هذه الارتباطات مع ذلك ليس فيها ما هو طبيعي ولا تنتج إلا عن اتفاقات اجتماعية.

ذلك أن الأحمر مثلا يرتبط أيضا بأفكار العنف ويخصص لبدلات العار، بينما نعرف في حالات أخرى أن لباس الحداد يكون أبيضاً، مثلاً لدى اليهود المغاربة. بالاستقلال عن الوظيفة الاتفاقية كعلامة والتي يمتلكها شخص، اللباس يمكنه أن يؤدي أيضا وظيفة عندما يتدخل في إطار شعائر إلى حد ما معقدة. تلمس أو تخلع أو ترفع أو تقذف في الهواء، القبعة استعملت في الشعار الخاص بالغرب للدلالة على الاحترام. في العديد من المجتمعات، اللباس لعب دورا مهما في الطقوس المرتبطة بالجنسانية. الفتاة الشابة التي تتهاون في لبس هذه القطعة أو تلك (غالباً القفازات، الحزام، أو المئزر) يدل فعلها هذا على قبولها.

العلامة اللباسية تمتلك في المجتمعات التقليدية خصائص محددة جيدا، إنها تخلو من الترادف أو الاشتراك في المعنى. إنها تعلم بواسطة التقاليد، ولا أحد له الحرية في التخلص منها. عقوبات يمكن أن تذهب من العقوبة التافهة إلى عقوبة الرجم تصاحب عدم احترام القانون.

3.2. الوظائف الرمزية والسحرية:

في كل الحالات المصادفة لغاية الآن، وظيفة العلامة كانت مثبتة بوضوح، البدلة تنقل معلومات يمكن أن تكون مجهولة بطريقة أخرى. بدلات أخرى تكون انعكاسا للمعتقدات، لرؤية العالم، أو الأساطير أو الكوسمولوجيا التي تدخل الوظيفة الرمزية بدلا من الوظيفة كعلامة. تشارك بين فاعلين اجتماعيين بدلا من التواصل، رغم أن الوجهين يمكن أن يتواجدا داخل البدلة الواحدة، هذا النمط من اللباس، زيادة على ذلك، له في الغالب وظيفة سحرية للحماية أو التواصل مع العالم الآخر، كمثال على هذا النمط من البدلات نذكر تلك التي يحملها الشمانيون والسيبيريون.

عنوان المقال: موضة اللباس

البدلة الصينية المخصصة للأطفال كانت غنية كذلك برمزية كاملة، حيث تسود الوظيفة السحرية، وبالمثل في ثياب هنود الهيكول Haichol بالتشاد بعض الثياب الأميرية التي درسها ج. ب. لوبييف J. P. Lebeuf تقدم مثالا أيضا عن هذا الأسلوب من التعبير الرمزي. من غير المجدي مضاعفة الأمثلة. إدخال أساطير الأصل، تمثلات الإنسان عن الطبيعة والثقافة لا يمكن أن يوصف كل ذلك من غير رجوع مفصل إلى المفاهيم الدينية والاجتماعية الخاصة بكل مجتمع، يقتضي من هنا التأكيد أن اللباس يمكن أن يكون حاملا لمثل هذه التمثلات.

في كل هذه الأمثلة، عناصر رمزية الثياب تندرج ضمن زينتها أو زخرفتها. ولكن يمكن أن يحدث أن تنتج الرمزية الموظفة في قطعة ما عن وضعية هذه القطعة. هذه هي حالة الحزام الذي يوضع في منتصف الجسم، ويحتل وضعاً استراتيجياً ويرتبط بعدد المعتقدات والممارسات التي ترتبط غالباً بالجنسانية. ل. سعادة L. Saada جمع عن ذلك العديد من الأمثلة خاصة في الميدان السامي. بشيلا (المغرب) النساء الراغبات في الأمومة تربط أحزمتهم جوار قبر أحد الأولياء، في القبائل حزام المرأة العاقر يشد إلى العمود المركزي للمنزل. في تونس والمغرب، الزوجة الشابة لا تحمل الحزام خلال الأيام التي تتبع استهلاك العرس. جعل الحزام من جديد يرمز إلى العودة إلى الحياة العادية. (Yvonne Despanders, 1990, p.)

فيما يتعلق باللباس كعلامة، يقدم لنا إيفز دو لا بورت Yves de la Porte تحليل لهذه الوظيفة. التأمل القديم حول وظائف اللباس أوضح دور الحماية والزينة في فعل اللبس. وظيفة ثالثة تتعلق بالعلامة لم يشر إليها إلا مؤخراً. كل ما نعرفه عن الثياب الشعبية يبين مع ذلك أن لها أهمية في الحياة الاجتماعية.

بن معمر عبد الله

إذا كانت وظيفة اللباس كعلامة مهمة من قبل المؤرخين أو منظري الثياب، فإنها على العكس استرعت انتباه اللسانيين. هكذا فإن جيلمسليف Jelmselev أشار إلى أن وجه اللباس هو الذي يسمح بالتعرف عن طريق النظر فقط على ضابط فرنسي بهذه الرتبة أو تلك، أو راهب روماني من صف معين. هذه الأمثلة، مثل تلك التي نصادفها في هذه الأعمال تكون أولية وتحيل إلى المجتمع الغربي. ولكن المجتمعات التقليدية خاصة هي تلك التي تستعمل بانتظام هذه الخاصية للثياب.

الوجه المزدوج للثياب بصفقتها في نفس الوقت شيئاً وعلامة يخلو من الطرافة. كل علامة أو نظام من العلامات يترافق بالضرورة بأساس مادي، ما يمنح اللباس مركزاً خاصاً، هو أن حامل التواصل يمكن أن يكون له وجود مستقل، الحجة تقدمها أمثلة تاريخية لتكوين متدرج لمدلول يأتي ليلتصق بحامل مادي موجود مسبقاً، يصلح أن يكون له دالاً من الآن. في اللغة على العكس كل شيء يكون علامة.

بخلاف أغلب الدلالات في اللسانية، العلامة الثيائية لا تعمل بمعنى وحيد، بينما مثلاً السلطات القضائية تتواصل من غير تبادل مع مستعملي الطريق بواسطة التشوير، التواصل بواسطة الثياب يكون متبادلاً إنه ينتج داخل جماعة حيث كل واحد يغطي الدورين معاً، دور المرسل ودور المستقبل. مثل نظيرتها اللسانية، العلامة الثيائية تعسفية بشكل عام، في بعض المناطق الريفية المتجاورة، نفس القلنسوة يمكن أن تميز هنا ثياب المتزوجة الشابة، وهناك ثياب الحداد. ثياب المرأة العازبة الذي ترتديه في بعض الجماعات يصبح في جماعة مجاورة ثياب الفتاة العذراء. الأمثلة يمكن مضاعفتها والتي تثبت أن لا يوجد عموماً لعلاقة بين وجه الدال وطبيعة المدلول.

في اللغة، تعسف العلامة يرتبط بوجود التمثيل الثاني وهو ما يجعل من الممكن عمل اللباس كنسق في نفس الوقت متمفصل بواسطة وقائم على تعسف العلامة، وبالطبع العدد صغير نسبياً من العلامات اللباسية. بالنسبة لعدد العلامات السانية هناك ثلاث فئات من الدال اللباسي:

عنوان المقال: موضة اللباس

1- ماهو فردي ويحيل إما إلى الحالة البيولوجية لحامل اللباس، وإما إلى حالته بالنسبة للجماعة: الجنس، العمر، طقوس العبور، المركز الاجتماعي، المهنة، الغنى، درجة الحداد، حالة الفتاة العازبة، الرجل أو المرأة المتزوجة، العازب، الأمومة، حالة المرأة العازبة أو المرأة التي ليست عذراء يوم زفافها.

2- ما يحيل إلى أفراد آخرين غير مرتدي اللباس في الغالب يكون الزوج أو الأطفال. المهنة أو الحالة الاجتماعية للزوج، وجود أو غياب الزوج، أو أفراد آخرين من الجماعة.

3- وضعيات لا تتوقف على الأفراد ولكن تحيل إلى التقسيم الاجتماعي للفضاء والزمان، الأيام العادية، الاعياد... (Yves Delaporte, 1980, p. 109-142)

في هذا الإطار يذهب كازانوف إلى أن مشكل اللباس أكثر تعقيدا مما يعتقد لأول وهلة. في الواقع من الخطأ الاعتقاد بأن كل شيء يفسر بضرورة حماية الجسم الإنساني من قسوة المناخ. الجسم الإنساني غير مزود بالفرو أو الريش أو الصوف مثل الحيوانات الأخرى. يمكنه أن يتكيف مع البرودة أو الحرارة من غير الالتجاء إلى حماية اصطناعية. وإذا كانت بعض الشعوب تندفأ في المناطق الباردة فإن هناك شعوبا أخرى في نفس الظروف (مناطق متجلدة) هناك بدائيون يعيشون تقريبا عراة، وأن بدائيين آخرين في مناخ حار يلجؤون إلى اللباس. من غير أن ننسى الحاجة إلى الحماية، نحن متقادون إلى افتراض عوامل أخرى محددة أو على الأقل ساهمت مع هذا العامل في ولادة عادات اللباس. يمكن أن نبحثها في ثلاثة ميادين. يمكن أن تكون هناك أسباب اجتماعية خالصة. الموضة، في ما يتعلق بهذا الشأن، ستكون مؤسسة حسب رأي سيمل Simmel الذي أكدته جون ستويتزل J. Stoezel تحقق توازنا بين الحاجة إلى المطابقة والموافقة والرغبة وفي التميز والفردانية. البدائي بشكل عام يغطي جسده بالطريقة المتبعة في قبيلته. ولكن في الوقت نفسه يمكن أن نكشف في هذا الاستعمال بعض النزعة الاستعرائية، النزوع إلى التفرد من أجل ضمان مكانة ممتازة في التنافس الجنسي والاجتماعي. البزة Costume زيادة على ذلك هي علامة على التراتبية الاجتماعية. هناك بزات

مخصصة للقادة وأخرى للسحرة، وأخرى للمحاربين. (Jean C azeneuve, 1967, p. 330)

3. الموضة واقعة اجتماعية كلية أو شاملة:

1.3. الأوجه المختلفة للموضة:

في الأدبيات الاقتصادية والتاريخية أو السوسيولوجية المكرسة للموضة، الكثير من الكتاب يبدوون تأملاتهم معتردين بنقص البحث في الموضوع، ويفسرون هذا الواقع عموماً بالإهمال من قبل الجماعة العلمية للموضة والذي يمكن اعتباره سطحيًا أو حتى كتعبير عن التلاعب الاجتماعي الذي يهدف إلى دعم الاستهلاك بشكل مصطنع.

ومع ذلك، كما توضح عالمة الاجتماع الإيطالية نيكوليتا جيستي Nicoletta Giesti (2009) شهدت التسعينيات والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين ظهور أبحاث متعددة من تخصصات غنية جدا ومثمرة حول هذا الموضوع والتي يشار إليها أحيانا باسم دراسات الموضة أو Fashion-ology علم الموضة. علم الموضة هو من ناحية مكان لالتقاء بين مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية حول موضوع مشترك، ومن ناحية أخرى محاولة التوفيق بين وقت الموضة ووقت التجديد الدائم، ووقت العلم زمن تحليل الوقائع وبناء النظريات.

لقد كافحت الموضة لترسيخ نفسها كموضوع بحث مشروع بسبب تعقيدها وغموضها. كما يشير الاقتصادي الأمريكي ريتشارد كافز Richard Caves (2000) فإن الصناعات الإبداعية بشكل عام وصناعة الأزياء بشكل خاص، تتميز بنقص في البيانات. هذا النقص في البيانات، الناجم عن صعوبة قياس الإبداع والأساليب والثقافة بشكل عام، يشكل عقبة خطيرة أمام الدراسة العلمية للموضة وغيرها من الصناعات، علاوة على ذلك، فإن تعريف الموضة في حد ذاته غامض. ففي الواقع، يمكن فهم الموضة بطريقتين مختلفتين: بادئ ذي بدء يمكن تعريفها على أنها صناعة الملابس

عنوان المقال: موضة اللباس

والرفاهية luxe (ويمكننا إضافة مستحضرات التجميل) حيث يقدم العديد من الجهات الفاعلة، على سبيل المثال المهنيين والشركات، بتطوير وظائف أو استراتيجيات، يشمل هذا المنظور أيضا أنماط استهلاك الأفراد أو الجماعات أو الطبقات الاجتماعية الذين يستخدمون الملابس لتحديد هويتهم. هذا التعريف للأزياء كصناعة يتداخل إلى حد كبير مع موضوع الزينة لكنه يختلف عنها. لا تشمل الزينة وحدها، فقط الملابس ولكن أيضا الزينة المرتبطة بها مثل الاكسسوارات والمجوهرات والوشم، أو الماكياج وبالتالي يمكن أن توجد خارج إطار الموضة كصناعة بعد ذلك، يمكن تعريف الموضة على أنها نوع من التغيير الاجتماعي المحدد منتظم وغير تراكمي. ويتكشف في مجالات متعددة من الحياة الاجتماعية بخلاف الملابس. بادئ ذي بدء، هذا التغيير منتظم لأنه يحدث في فترات ثابتة وقصيرة في كثير من الأحيان على سبيل المثال مرتين في السنة في حالة أزياء الملابس ومجموعات الربيع/الصيف والخريف/الشتاء. ثانيا إنه غير تراكمي لأنه لا يضيف عناصر جديدة إلى التغييرات السابقة، بل يحل محلها. وهكذا فإن الموضة تتميز عن التغيير الذي هو تراكمي في الميادين العلمية أو التقنية، أو حتى الفنية. فكما بين طوماس كون فإن اكتشافا علميا لا يظهر أبدا في فراغ فكري ولكنه يبنى انطلاقا من أعمال سابقة تتحداه وتدججه كما في حالة الفيزياء الكوانتية تجاه الفيزياء النيوتونية.

علاوة على ذلك في الفنون، لا تكون الحركة الفنية ابدا جديدة تماما وتتطور من الأشكال الموجودة مسبقا. مثل موسيقى الروك اندرول من موسيقى البلوز والكونترى. أخيرا تحدث الموضة بوصفها تغييرا في العديد من مجالات الحياة الاجتماعية بخلاف الملابس، على سبيل المثال في تسمية الأفعال حديثي الولادة من قبل والديهم، وفي تبني الأفكار الجديدة في علوم الإدارة. أو في تطور شعر الوجه عند الرجال.

بن معمر عبد الله

هذان المفهومان للموضة يترابطان، ذلك أن الموضة كصناعة تنتج أنماطا تتميز بالتغيير المنتظم بدلا من التغيير التراكمي، ومع ذلك من الواضح أن بعض جوانب الموضة مثل التغيير تتجاوز الموضة كصناعة على سبيل المثال في حالة اعتماد نوع معين من شعر الوجه بين الرجال وأن بعض جوانب صناعة الأزياء لا ترتبط ارتباطا مباشرا بإشكالية التغيير المنتظم غير التراكمي، مثلا في حالة تقنيات إنتاج المنسوجات.

2.3. الموضة كصناعة للابتكار:

صناعة الموضة والرفاهية نشاط اقتصادي كبير. في الواقع هذه الصناعة تمثل ما يقرب من 6% من الاستهلاك العالمي مع مليار وأربعمائة مليون (1.400) أورو سنة 2008 على سبيل المقارنة. قطاع السيارات يمثل أقل من 4% من الاستهلاك العالمي وقطاع الاتصالات، تجهيزات وخدمات لا يمثل سوى 3% ما وراء أهميتها كنشاط اقتصادي تمثل الموضة أيضا موضوعا اجتماعيا منفردا بالتقاطع مع الفنون والصناعة. بينما عروض الموضة النصف سنوية نيويورك ولندن وميلان أو باريس هي فرصة لمبدعي ومبدعات الموضة للكشف للعالم عن مواهبهم الفنية وإبحار المتفرجين. فإن دور الموضة تجد نفسها مع قرارات ملموسة يوميا، من ذلك تحديد أسعار البيع، التحديد الجغرافي لمصانعها، والتعريف بقنوات التوزيع وترتيب حملات الإشهار. هذه القرارات تقترب من القرارات المتخذة في صناعات أخرى مثل صناعة السيارات أو الاتصالات حيث تكون الشركات في مواجهة قرارات الإنتاج والتوزيع. من حيث كونها صناعة، تتميز الموضة بثنائية أساسية، باعتبارها في الوقت ذاته نشاطا اقتصاديا ونشاطا فنيا. هذه هي الفكرة التي نجدها لدى عالمي الاجتماع بورديو وإيفاتدولسو Yvette delsaute (1975) اللذين كتبا أن الموضة تستند على قوة ختم المبدعين والمبدعات الذين يحولون أشياء جامدة ومواد أولية مثل القطن أو الحرير إلى أشياء سحرية تحمل المركز والتميز الاجتماعيين.

عنوان المقال: موضة اللباس

الموضة تتمثل أيضا خصوصيتها بتميزها بتحديد واضح بين مكوّنها الأنثوي ومكوّنها الذكوري كل واحد منهما له شعبية تصنيع وميول خاصة.

الموضة النسائية ترجح على الموضة الرجالية سواء بالأهمية الاقتصادية أو الأهمية الدينامية هكذا فإن أغلب الأعمال المتعلقة بالموضة تتركز على الموضة النسوية رغم بعض الأعمال الحديثة التي تحاول أن تغير من هذه الحالة.

الموضة نشاط اقتصادي لأنها تنتج أشياء، ولكنها أيضا نشاط فني لأنها تنتج رموزا. إنها لا ترضى إذن بتحويل النسيج إلى ألبسة، إنها تخلق أشياء حاملة للمعنى. الموضة هي إذن صناعة ثقافية أو صناعة الإبداع. الحدود الدقيقة للصناعات الثقافية أو الإبداع معتمدة وتتغير من مبدع لآخر ولكنها تغطي بشكل عام ميادين من النشاط مختلفة أيضا كالمهندسة المعمارية، الفنون التشكيلية، السينما، ألعاب الفيديو، الموسيقى، الإشهار، التلفزيون أو أيضا السياحة والرياضات.

هذه الصناعات تقدم كنقطة مشتركة واقعة أنها تتميز ليس فقط بمركزية الخاصية الإبداعية والجمالية في عملية الإنتاج، ولكن أيضا بأولوية الترويج في عملية الاستهلاك.

الأهمية المعطاة لهذه الصناعات ليست حديثة. دراسة المنافع الثقافية، والثقافة بشكل عام، تمثل طريقة للولوج إلى ميكانيزمات اجتماعية خفية. بشكل خاص دراسة الثقافة مركزية في علم الاجتماع منذ خطواته الأولى في فرنسا مع إميل دوركايم وفي ألمانيا مع ماكس فيبر. بالنسبة لدوركايم الأبعاد الجمعية والأخلاقية للحياة الاجتماعية، والممارسات والتمثيلات مرتبطة ارتباطا وثيقا ويجب أن تفهم في آن واحد. نفس الشيء بالنسبة لفيبر الذي يرى في المعنى الذاتي الذي يعطيه الأفراد لأفعالهم السبيل الرئيس للولوج إلى البنيات الخفية للعالم الاجتماعي. في كلتا الحالتين الثقافة والبناء الاجتماعي مرتبطان ارتباطا وثيقا.

بن معمر عبد الله

دراسة الأشكال الثقافية بشكل عام والصناعات الثقافية تشكلت منذ زمن بعيد كحقل دينامي من البحث. في الولايات المتحدة العديد من التقاليد تطورت. أولاً، المقاربة، المسماة "إنتاج الثقافة" التي تهتم بتأثير بنية الأسواق على إنتاج المنافع الثقافية، بشكل خاص من وجهة نظر التنوع والتجديد. هذا التقليد لازال ديناميا اليوم ويتركز على دراسة انبثاق ودينامية الجندر، بشكل خاص في صناعة الموسيقى، الموضوعة اعتبرت حالة خاصة من الديناميات العامة التي تميز صناعات الابتكار. تقليد ثان مرتبط بالتقليد السابق، يتركز أيضا على أسئلة التنظيم الصناعي يهتم بمشكلات تسيير الارتياح في الصناعات الثقافية مثلا التلفزيون. معالجة الموضوعات بواسطة فاعلين اجتماعيين يشكلون المسألة المركزية لصناعات الإبداع.

تقليد ثالث وأخير يتميز باكتشاف من نمط إثنوغرافي للممارسات والتمثيلات الفنية، بشكل خاص حول وجوه وصية لعلماء اجتماع هوارد بيكر Howard Pecker وهربرت بلومر Herbert Blumer، هذا الأخير درس مباشرة الموضوعة الباريسية.

في أوروبا العديد من التقاليد يمكن رصدها. أولاً، تقليد يمكن أن نصفه بالثقافوي والذي يهتم بتشكيل الثقافات الفرعية مثل الهيببي hippies المودس mods، التيدي بوي les teddy boys... حول ممارسات وتمثيلات ثقافية خاصة، بشكل خاص متعلقة باللباس. تقليد ثان فرنسي أساسا تطور انطلاقا من أعمال بورديو ويبحث في تشكل حقول فنية وفكرية، الموضوعة شكلت أحيانا موضوع البحث (بورديو ودالسو 1975 le couturier et sa griffe).

تقليد ثالث يبحث في الديناميات الاحترافية والسوق في مجالات النشاط الفني، حيث تشكل الموضوعة جانبا منها.

العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين شهدت تجديدا في البحث باللغة الإنجليزية حول صناعات الابتكار الثقافية والجمالية حيث تشكل صناعة الموضوعة جانبا منها.

عنوان المقال: موضة اللباس

صناعة الموضة تشكل نقطة ولوج بشكل خاص بالنسبة لصناعات الثقافة بشكل عام، أولاً بالنظر إلى أهميتها الاقتصادية، ولكن أيضاً بالنظر إلى حضورها من خلال العديد من مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي. الموضة بفضل وجوهها المتعددة هي واقعة اجتماعية كلية.

3.3. المبادئ الست للموضة:

الموضة واقعة اجتماعية شاملة أو كلية باعتبار أنها في نفس الوقت فنية واقتصادية وسياسية وسوسولوجية... وأنها تمس أسئلة التعبير عن الهوية الاجتماعية.

1.3.3. التأكيد : الموضة بين الفرد والمجتمع

كما تفسر المؤرخة الأمريكية سارة غراس هيلر (2007)، إن موقفاً مهيمناً في إستريوغرافيا الموضة هو أن هذه الأخيرة تجدد مصدرها في الغرب في محاكم بورغوني أو إيطاليا خلال القرن 14 أو 15، عموماً خلال العصر المسمى الحداثة الأولى: بمعنى خلال عصر النهضة. هذا الموقف يوجد لدى المؤرخ الفرنسي بارنارد بروديل (1979) الذي رأى في الموضة نتاج انبثاق الحداثة في أوروبا. مثال آخر عن هذا الموقف يمكن أن يوجد مثلاً لدى المؤرخة الأمريكية فاليري ستيل "منذ 1393 باريس عادي (ليس شريفاً) حذر زوجته ذات الخمسة عشر عاماً ضد أساليب اللباس غير الضرورية ولكن كان الوقت قد فات: عهد الموضة غير الثابتة قد بدأ" الموضة لم تبدأ في فرنسا ولكن في إيطاليا حيث ارتبطت بانبثاق المدن وبطبقة متوسطة صاعدة. من إيطاليا الموضة الحديثة امتدت إلى محكمة بورغوني التي سميت بعهد الموضة. يجب الإشارة مع ذلك إلى أن باحثين آخرين اخترعوا منظورات مختلفة. مثلاً المؤرخ الفرنسي فيليب بيرو (1981) وضع انبثاق الموضة حوالي 1700 في أوروبا، حتى ولو كان يحدد إشارات مبشرة منذ العصر الوسيط.

بن معمر عبد الله

بالنسبة لهيلر Heller من غير المجدي البحث عن مصدر وحيد للموضة: مثل هذا المصدر يتوقف في الواقع على الطريقة التي تعرّف بها الموضة وهي الأسئلة التي يطرحها الباحثون الدارسون لها. توجد تغيرات منتظمة غير تراكمية في ميدان اللباس في مجتمعات بعيدة عن الغرب في القرن 14 كما في اليابان.

وتضيف هيلر ان فكرة موضة ناشئة خلال القرن 14 عشر في أوروبا الغربية تتأني من وفرة في الوثائق حول اللباس لهذه الفترة في أوروبا الغربية بينما المصادر التاريخية عن فترات سابقة نادرة جدا، بشكل خاص تورّد دراسة لبول بوست إرجاع أصل الموضة إلى أوروبا في عصر النهضة، في حين أن بول بوست ذاته طور حجة حول مصدر البزة الرجالية الحديثة وليس حول الموضة بشكل عام. مع ذلك خلال عصر النهضة ظهرت الموضة. الرأسمالية التي برزت خلال هذا العصر سمحت بانبثاق طبقة اجتماعية جديدة هي البورجوازية، التي وضعت موضع تساؤل سيطرة، الأرستقراطية. هذه الفترة تميزت بنوع من الهدوء السياسي في أوروبا، مع نهاية الغزوات، وبواسطة تحولات اقتصادية وعلمية قوية والتي وضعت موضع السؤال التوازنات التقليدية. البورجوازيون لا يترددون في التعبير من خلال ثيابهم وإكسسوارتهم البذخية عن قوتهم الجديدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفتت الأرستقراطية برد الفعل المماثل. الموضة في بدايتها إذن اقتصرّت على النخب البورجوازية والأرستقراطية وتم استبعاد أغلبية السكان.

البورجوازية في الغرب هي التي جعلت من الموضة ظاهرة مهمة التي قلبت التصنيفات التقليدية. الموضة باعتبارها تغيرا منتظما في ميدان الثياب، أصبحت إذن تكوينا اجتماعيا راجحا مع البورجوازية ودينامية عرض الثروات التي وضعتها في مواجهة الأرستقراطية. المبدأ الأساس للموضة هو التفاخر ostentation ، كلمة تم ادخالها في دراسة الموضة بواسطة الاقتصادي تورستين فييلن (1899). التفاخر هو التأكيد الصراعي بمعنى قائم على الكفاح، للمكانة الاقتصادية، للمركز الاجتماعي أو

عنوان المقال: موضة اللباس

الانتماء الثقافي من خلال عناصر مرئية وقابلة للتأويل من قبل الجميع. مع ذلك إذا كان الصراع الأصلي بين البورجوازية والأرستقراطية في أوروبا في فجر الرأسمالية هو رحم الموضة، هذا الصراع تحول إلى منطق هوياتي أقل صراعيا فيما بعد.

يبدو إذن من المناسب استبدال كلمة تفاخر بكلمة تأكيد الذي تترجم نفس فكرة تواصل العلامات الهوية من خلال اللباس وأشياء أخرى أو ممارسات أخرى من غير الرجوع بالضرورة إلى حالة صراعية، الأفراد يشيرون إلى انتماءاتهم الاجتماعية المختلفة من خلال العلامات الهوية، حيث تشكل الثياب عنصرا مركزيا. ولكنها ليست العنصر الوحيد فهناك عناصر هوياتية أخرى كالعنصر اللغوي مثلا.

-انبثاق الموضة، ديناميات سوسيولوجية للمحاكاة والتميز

2.3.3. تارد والرابط الاجتماعي: الموضة كمحاكاة:

دخول الموضة إلى الفكر السوسيولوجي الحديث تم من خلال فكرة الحاجة الطبيعية للمحاكاة لدى الكائنات البشرية، هذه الفكرة تم تطويرها بشكل خاص بواسطة الفيلسوف جابريل تارد (Gabriel Tarde) (1890).

بالنسبة لتارد، الحياة الاجتماعية تتميز بمبدأ وحيد يسميه التكرار الشامل، التكرار ظاهرة دينامية تتجلى من خلال ثلاث صور: التموج، الجيل وأخيرا المحاكاة نقطة مهمة في نظرية تارد هي أنه إذا كانت هذه الصور الثلاث للتكرار مرتبطة فيما بينها، فإنها ليست متبادلة أو ذات أهمية مفهومية متساوية.

لقد كتب: "الجيل لا يستغني عن التموج الذي لا يحتاج إلى الجيل، والمحاكاة تتوقف على التموج والجيل اللذين لا يتوقفان على المحاكاة"، الصورة الأولية للتكرار وهي التموج هي بالنسبة لتارد أساس

بن معمر عبد الله

ما يسميه الرابط الاجتماعي. التموج يربط الكائنات الاجتماعية فيما بينها، إنه مماثل للتموجات التي تظهر عندما يسقط حجر في الماء، وأن الموجة الأولى التي تنتج عن ذلك تتكرر وتتوسع إلى غاية حدود الحوض.

الصورة الثانية هي الجيل، يمكن أن يفهم كإنتاج لنفس الصور، مرتبطة أو غير مرتبطة بالصور السابقة. وكذلك إعادة إنتاج للكيانات الاجتماعية هي التي تعمل، الجيل يحتاج إلى النموذج من أجل أن يوجد وينتشر، بينما التموج يمكن أن يوجد من غير الجيل. وأخيرا الصورة الثانية، المحاكاة، لا يمكن أن توجد من غير تموج الذي هو أساس ميكانيزمات الانتشار. إنها أيضا لا يمكنها أن توجد من غير الجيل الذي يقدم لها العناصر لنشرها، مثل فكرة فلسفية. خصوصية المحاكاة هي أنها تنتج عن بعد، في نفس الوقت من وجهة نظر مكانية وزمانية أيضا. فمن هذا السياق المفهومي طور تارد نظريته عن الموضة. بالنسبة له، الموضة تقابل العرف. كلاهما صور من المحاكاة ولكن بينما بالنسبة لكيان اجتماعي معطى أمة أو مدينة، مثلا العرف هو محاكاة روتينية لماضي هذا الكيان، الموضة هي محاكاة للبعيد بالمعنى الزماني أو المكاني. العرف هو الحالة السوية الروتينية للمحاكاة التي تسمح للكيانات الاجتماعية أن تعيد إنتاج نفسها في إطار المماثلة، بينما الموضة هي محاكاة أقل ترقبا، وأكثر مفاجأة والتي تحمل الجديد.

3.3.3. فيبلن وسيميل: موضة قائمة على التميز:

فكرة أن الموضة تتلاعب بالحدود الاجتماعية والثقافية أساسية في التطورات النظرية اللاحقة لأعمال تارد بشكل خاص لدى تورستين فيبلن Thorstein Veblen (1899) ولدى عالم الاجتماع جيورج سيميل George simmel (1904) اللذين يكملان، كل واحد بطريقته، مفهوم المحاكاة كمحرك للموضة بواسطة مفهوم آخر هو مفهوم التميز. نظريتهما عن الموضة لها نقاط مشتركة، رغم بعض الاختلافات الملاحظة.

عنوان المقال: موضة اللباس

بالنسبة لفيلبن يجب أن تفهم كأثر مشتق عن دينامية الاستهلاك الصراعي والذي وصفه في كتابه الرئيس: "نظرية طبقة الفراغ" (1899) دراسة فيلبن هي دراسة للتنزيد والطبقة العاملة. هذا التمييز لا يقارن بالتمييز الذي يقيمه كارل ماركس بين البورجوازية والبروليتاريا ذلك أن ما يهم فيلبن ليس وضعية الطبقات في عملية الانتاج، ولكن بالأحرى علاقتها بالأشياء والزمن، فبينما الطبقة الشغيلة التي تشكل البورجوازية جزء منها إلى جانب البروليتاريا تقوم باستعمال منتج للزمن، طبقة الفراغ تقوم باستعمال غير منتج لزمناها، بمعنى أنها لا تنتج الثروات هذا لا يعني أن طبقة الفراغ غير فاعلة أو كسولة، ولكنها ترفض أن تلزم نفسها بالعمل. بالنسبة لفيلبن طبقة الفراغ هي أثر من آثار المجتمعات البربرية، انحراف في العالم الرأسمالي الحديث، طبقة الفراغ تميز باستهلاك تفاخري يتكون من الإهدار والزائد عن الضروري. فيلبن يقدم مثالا عن الاستهلاك التفاخري: استعمال الملاعق الفضية هذه الأخيرة ليست أكثر ضرورة من الملاعق الحديدية الأقل جودة، ولكنها غالية الثمن ونادرة، وهي تعرض بتفاخر أمام الضيوف، وهو ما يشكل علامة على المركز الاجتماعي المرتفع، التغير المتكرر للألبسة غير المستعملة، الذي هو جوهر الموضة، يتأتى من هذا الاستهلاك التفاخري الذي يستهدف إهدار الثروات لا لسبب آخر سوى التمييز الاجتماعي.

بالنسبة لسيمل (1904) الموضة هي موضوع منفرد يمكنه أن يسمح بتحليل التوترات المركزية في الحياة الاجتماعية، إنها نتيجة للحاجة إلى التمييز للطبقات العليا الذي وصفها فيلبن مثالا وإلى الحاجة إلى محاكاة الطبقات الأخرى. عندما تتبنى الطبقات العليا أسلوب ما، فهذا الأخير يتم محاكاته من قبل الطبقات الدنيا التي ترغب في مشاركة الاعتبار لدى الطبقات العليا وذلك بتقليدها. هذا يدفع الطبقات العليا إلى تبني أسلوب جديد من أجل أن تتميز عن الطبقات الدنيا، وهذا الأسلوب الجديد يتم تقليده من جديد على الأقل في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة. دينامية التمييز والمحاكاة

بن معمر عبد الله

كمصدر للموضة يعد وجهها معروفا، تذكره نظرية سيمل عن الموضة، مع ذلك، بالنسبة لسيمل فائدة الموضة توجد في القدرة على الاحتفاظ بتوازن دينامي بين أقطاب متناقضة من الحياة الاجتماعية والنفسية، مثل العالمية والخصوصية أو أيضا الإبداع والهدم. الموضة هي ما يربط ويقرب الفردي والجمعي وتمكين الفرد من إظهار أذواقه في إطار محدد جمعا. -Frédéric Godart, 2010, p. 3 (18)

4.3.3.3 الموضة الهوياتية: ظاهرة سوسيو ثقافية

1.4.3.3.3 حدود الموضة:

مقارنة سيمل تقود إلى رؤية الموضة كظاهرة اجتماعية شاملة، في الواقع، الموضة لأنها تبرز توترات في قلب الدينامية الاجتماعية وتسهم في حلها، تصبح إذن الرحم الذي من خلاله تفهم الوقائع الاجتماعية كظاهرة عارضة مصطنعة للباس، وعندئذ هل للموضة حدود ؟ من أجل الإجابة على هذا السؤال يكون من الضروري العودة إلى المعنى الاشتقاقي لكلمة موضة التي تأتي من الكلمة اللاتينية Modus والتي تشير إلى طريقة العمل المتقاسمة، بهذا معنى الكلمة الانجليزية Fashion التي تشتق من الفرنسية façon، الموضة إذن هي الطريقة التي نعمل بها شيئا ما وبشكل خاص طريقة اللباس والأكل والكلام.

فكرة التغيير الدائم ليست هي الأولى تاريخيا في مفهوم الموضة، ما هو أولي هو تنوع الممارسات والتمثلات، طرق العمل والنظر. فهم الموضة يقتضي إذن فهم التغيير الاجتماعي، عالم الاجتماع الفرنسي ميشال غروسيتي Michel Grossetti (2004) يقدم نمذجة للتغيير الاجتماعي. يميز بين بعدين للتغيير عدم التوقع وعدم العودة، عدم التوقع يتعلق بعدم وثوقية مقطع من الأفعال أو الأحداث بينما عدم العودة يتعلق بعدم وثوقية نتائج هذه الأحداث. مثلا طقس ما قبل عيد الميلاد متوقع ولكن نتائجه ليست قابلة للعودة. نتيجة مباراة في لعبة البوكر غير متوقعة ولكنها قابلة للعودة.

عنوان المقال: موضة اللباس

الظواهر الروتينية (أخذ الميتر) تكون متوقعة وقابلة للعودة. بعض الظواهر التي يسميها ميشال غروسيتي معرفية تكون غير متوقعة وغير قابلة للعودة مثلاً بالنسبة لفرد ما، تغيير المهنة عقب تسريح اقتصادي.

أين نضع الموضة في هذه النمذجة؟ الموضة قابلة للعودة، باعتبار أن تغيرات فصل ما تشطب بالفصل التالي، عدم توقعية الموضة أكثر غموضاً وتتوقف على وجهة النظر المتبناة. بالنسبة للمستهلكين، إنها غير متوقعة بشكل واضح، باعتبار أن عروض الموضة تجري في أيامنا في فترات منتظمة. الآليات التي تحكم تغيرات الأساليب والتصاميم تبقى معتمة. بالنسبة للمنتجين، تطور الأساليب والتصاميم يتم معرفتها مسبقاً وتكون مراقبة.

حدود الموضة غائمة ومتغيرة في القرن 21. الموضة تغطي بشكل رئيس اللباس والمواد التي تلحق بها، مثل الإكسسوارات (القبعات، الحقائب...) أو المجوهرات ... وتأثيرها يمتد بشكل واضح إلى مواد التجميل (بشكل خاص العطور) والتصميم الداخلي، التمييز بين اللباس من جهة الإكسسوارات والمجوهرات من جهة أخرى، تستحق بعض التوقف، لأنه يمكننا من معالجة المسألة بين وظيفة أشياء الموضة ودلالاتها، ملاحظة شائعة تريد أن تقول أن هناك اختلافاً أساسياً بين الألبسة من جهة، والمجوهرات والإكسسوارات ومن جهة أخرى، فبينما الأولى تغطي وظيفة الحماية (ضد البرد مثلاً) فالأمر ليس كذلك بالنسبة للثانية التي ليست سوى تشكيلات اجتماعية وثقافية.

في الواقع الموضة لا توجد إلا لأن الأشياء بشكل خاص اللباس، تكون متحررة من الإشباع لحاجة فيزيائية أو حاجة وظيفية آنية. بهذا تكون الموضة رفاهية أو بذخ *luxe* وفي هذا نجد أصلها. البذخ هو التعبير الأولي للرأسمالية لأنه يخلق الموضة.

2.4.3.3.3. تقارب: تركيز الميول:

بن معمر عبد الله

المبدأ الثاني الذي يحدد الموضة كما نعرفها اليوم هو مبدأ التقارب هذا المبدأ يعني أن الموضة تتميز بوجود ميول. فكما يشرح عالم الاجتماع الفرنسي غيوم إرنر Guillaume Erner الميول هي يؤر للربعة متفاوتة النطاق أو الحجم التي تقود العديد من الأفراد، إلى تبني لفترة معينة، بعض المواقف أو بعض الأذواق. الميول توجد في العدد الأكبر من مجالات الحياة الاجتماعية وليس فقط في صناعة الألبسة.

في ميدان موضة اللباس مبدأ التقارب مضمون بآلية تركيز تسمح للمحترفين بتركيز تطورات يجدون صعوبة في مراقبتها، هذا يعني أنه إذا كانت الأساليب والتصاميم المبتكرة والمنتجة بواسطة دور الموضة لها مصادر متعددة فإنه يتم تصفيتها وانتاجها بعدد محدد من الشركات في عدد محدد من المناطق الجغرافية. (Frédéric Godart, 2010, p. 25-26)

3.4.3.3.3 الاستقلالية: انبثاق ودينامية الأساليب:

المبدأ الثالث للموضة كما نعرفها اليوم هو استقلاليته كنشاط خلاق، انبثاق مبدأ استقلالية الموضة اللباسية حديث وكما هو الحال بالنسبة للمبادئ الأخرى، فإن ثمة عملية تاريخية طويلة. رمزيا الملكة ماري أنطوانيت (1755-1793) هي التي سمحت بانطلاقتها. قبل ماري أنطوانيت الموضة كانت خاضعة لمعاهدات واختيارات الأقوياء والميول المنبثقة بشكل رئيسي عن الديناميات الخارجية في وسط الموضة، مع ماري أنطوانيت، الموضة تحررت وأصبحت حقلا مستقلا يخضع لمنطقه الخاص.

استقلالية الموضة مكنت من ظهور صور من التعبير خاصة بهذا النشاط وانبثاق دينامية خاصة بها.

إنها ترافقت أيضا باختلاف كبير بين موضة النساء وموضة الرجال، الأولى صارت أكثر دينامية من الثانية.

عنوان المقال: موضة اللباس

4.4.3.3.3.3 شخصية: موضة الحرف والحرفيين:

مؤسس الأزياء الراقية والموضة المعاصرة بشكل عام، هو مصمم الأزياء الانجليزي المقيم بباريس، شارل فردريك وورث C. F. Worth (1825-1895) الذي فتح داره للموضة، في نهاية 1850 أدخل العديد من التحديدات التي لاتزال سارية في بداية القرن 21 مثل عروض الموضة النصف سنوية، واستعمال عارضين أحياء يسمون *sociés* من أجل تقديم التصميم للزبائن أو أيضا استيراتيجية تجارية تعتمد على محلات الموضة والبيع بواسطة البريد.

بالنسبة للفيلسوف الفرنسي جيل ليوفتسكي Gilles lipovetsky (1987) وورث يرمز إلى انبثاق ما يسميه موضة المائة عام، المرحلة الأولى للموضة التي نعرفها اليوم تمتد من سنة 1860 إلى 1960 وهذا التاريخ الذي أدى فيه الاستهلاك إلى تغيير نطاق الموضة. يكمل ظهور مصممي الأزياء النظام السابق للاستقلالية الإبداعية للأزياء من خلال استقلالية المبدع وبالتالي إضفاء الطابع الشخصي على الإبداع.

شخصنة الموضة التي بدأت مع وورث غيرت بعمق بنية الصناعة بوضع في البداية المبدع وبصمته. هذا يقودنا إلى مسألة موقع مبدعي الموضة. من وجهة نظر علم الاجتماع المهن، كلمة مهنة في علم الاجتماع يصعب استعمالها بسبب المعنى الانجليزي الأمريكي للكلمة التي هي مخصصة لمجموعة ضيقة من الحرف، بشكل خاص المحامون والأطباء، والتي أثرت في تكوين المفهوم في علم الاجتماع. باللغة الفرنسية إن مفهوم الحرفة يختلف عن كلمة شغل، التي تشمل بالتعريف فكرة الحرفة في الفرنسية. القول أن مصممي الموضة هم حرفة بالمعنى السوسيولوجي محمل بالمعنى.

بالنسبة لعالم الاجتماع الأمريكي اندرو أبوت Androw Abbot مؤلف ما هو ربما الكتاب الأكثر اهتماما بالموضوع، المهن هي مجموعات من الحرف المستعملة حصرا معرفة إلى حد ما مجردة

بن معمر عبد الله

لحالات ملموسة. أهمية هذا التعريف لمفهوم المهنة هو أنه لا يتأسس على خصائص حارحة مثل وجود مدارس متخصصة أو جمعيات تقرر أي حرفة هي مهنة وأي حرفة ليست كذلك، ما يهم من وجهة نظره هو من جهة العملية التي تصبح بها حرفة مهنة ومن جهة أخرى، التفاعل بين مهنة مختلفة والحرف التي تشكل نظاما.

تتميز المهنة في المقام الأول بشكل من التفرد، كما هو الحال بالنسبة لمصممي ومبدعي الموضة. بالنسبة للمصممين يعتبر التفرد شرعيا قبل كل شيء لأن المهنة منظمة. بالنسبة لمبدعي الموضة، إذا لم توجد قيود قانونية على إنشاء دار للأزياء، فإن منافسة قوية توجد عندئذ.

بعد ذلك تتميز المهنة بوجود المعرفة المجردة المطبقة على حالات محددة، تم تقسيم أبوت الأنشطة المهنية إلى ثلاث مراحل: التشخيص والاستدلال والعلاج توجد هذه المراحل الثلاث في تصميم الأزياء، أولا التشخيص الأسلوبي للاتجاهات ثم الاستدلال الذي يتعلق بتعريف الاحتكار وموضوعات التصميم التي تستجيب لهذه الاتجاهات، وأخيرا المعالجة التي تتمثل في إنشاء التصميم التي تلي الاتجاهات. هناك بالتأكيد حركة في الموضة، قابلة للانعكاس من التجريد إلى الملموس. هناك أيضا معركة دائمة يقودها مصممو الأزياء للحفاظ وزيادة السيطرة على سلطتهم القضائية، بمعنى ما يمكن أن نسميه منطقة نشاطهم الحصري، لا سيما فيما يتعلق بالمهن الإبداعية الأخرى، لمديري الموضة والصناعيين وأيضا فيما يتعلق بالعملاء الذين يحاولون جميعا فرض أذواقهم فيما يتعلق بالملابس. هذه الفكرة القائلة بأن المهن في صراع دائم لإعادة تحديد سلطاتها القضائية على فكرة أساسية لدى أبوت ووفقا له فإنها تشكل قلب دينامية المهن. انبثاق مصممي الأزياء بوصفهم حامل الموضة الأساسيين على مرحلتين، أولا من خلال استقلالية حقل الموضة، ثم من خلال شخصيتها حول وورث. (Frédéric Godart, 2010, p. 67-83)

5.4.3.3.3 الترميز: قوة العلامات:

عنوان المقال: موضة اللباس

المبدأ الخامس للموضة هو امتداد للمبدأ السابق وهو بهذا يعمم قوة البصمة بتحسيدها في العلامات وتحريها من الاشخاص المصممين والمبدعين بحصر المعنى.

بينما موضة شارل فردريك وورث تتركز على أفراد خاصين، هم المصممين، الموضة التي انبثقت بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت موضة متركزة على العلامات، فاصلة هكذا الابتكار عن المصممين. من الصعب تحديد فترة دقيقة انطلاقا منها تحدد هذا الانتقال، ولكن يبدو أن بول بواريه Paul Poiret كان سباقا لهذه الحركة. منذ 1911 ابتكر خطأ لمستحضرات التجميل والعطور، وفي السنوات التي تلت أمضى سلسلة من عقود رخيصة مع متعاملين أمريكيين من أجل مواجهة نسخة دائمة من التصاميم الأوروبية بواسطة فاعلين في صناعة الألبسة الأمريكية. مع ذلك الهدف الرئيسي لبواريه كان إعادة التأكيد على أسبقية المصمم باعتباره شخصا على ابداعاته ويجب انتظار انبثاق ثوب جاهز prêt à porter في الموضة الباريسية من أجل رؤية العلامات تثبت في عالم الموضة بشكل مهم.

6.4.3.3.3 إنشاء العلامات

الموضة في مواجهة دلالتها:

القول أن الموضة أصبحت نظاما من العلامات لا يعني القول أن مسائل الإنتاج والتوزيع يجب أن يتم تجاهلها وأن العلامة أصبحت العنصر الوحيد الذي له الأهمية في استراتيجية وتنظيم دور الموضة. في الواقع بقاء دار للموضة، باعتبارها مؤسسة موجهة نحو العائلة، يتوقف على الفهم الجيد والأخذ في الاعتبار للعوامل الإستراتيجية والتنظيمية الخاصة بها، مع ذلك العلاقة بين الموضة وزبائنها يتخطى هذه العناصر الإستراتيجية التنظيمية والعلامة هي التي تنقل العلامات التي تمكن المستهلكين من تنفيذ اختياراتهم .

بن معمر عبد الله

بعبارة أخرى، الحقيقة الاقتصادية لدور الموضة لا تمح المستهلك وأن العالم المتخيل والرمزي للعلامة هو الذي يصلح كحد مشترك بين عالم الانتاج وعالم الاستهلاك. الموضة باعتبارها نظاما من الماركات هي إذن نظام من العلامات والدلالات.

مع ذلك، البعد الأسلوبي والسميولوجي للموضة يوجد ما وراء الماركات، مثلا في الألبسة بما هي كذلك، وقاد إلى تطوير العديد من الأبحاث التي تمثل إلى إدراك خصوصية المعنى في الموضة، منظور لغوي، قريبا من علم الاجتماع ولكنه متميز، يمكن أن يمكن من إضاءة العلامات المنتجة بواسطة نظام الموضة. (Frédéric Godart, 2010, p. 84-86)

7.4.3.3.3. التسلط: الموضة المنظمة

الموضة هي إذن واقعة اجتماعية شاملة، والتي تنتقل بين المحاكاة والتميز، بين الفرد والمجتمع إنها مجموعة من المؤسسات التي تنتج ألبسة حاملة للمعنى التي يستعملها الأفراد من أجل ترفيعاتهم لهوياتية. "شكل الموضة" إذن يتكون من التغير الدائم والاختلاف السيميائي. إنه يجلب الجديد بشكل دائم ويتسامح مع الاختلاف، موفقا بشكل خاص بين ديمقراطيات حرة حديثة واقتصاد السوق، حتى لو لم يتطلب لا هذه ولا ذاك من أجل أن يوجد.

خلال القرن العشرين مكانة الموضة تغيرت بشكل فوري من نشاط أخلاقي مدان، أصبحت نموذجا يتبعه جديد الصناعات، مثلا صناعات السيارات. إنها أيضا مرجع لا مفر منه لكل أشكال الثقافة. بالنسبة للتلفزيون مع مسلسلات مثلا الجنس والمدينة أو uglybetty وللسينما مع الأفلام زولندر zolonder أو برينو Breno وللأدب مع الكتب مثلا glanorama أو le diable s'habille en prada يمكن الحديث إذن عن تسلطه للموضة، هذه العملية تتميز بحركة هي في الوقت نفسه تنظيمية مع انبثاق تكتلات في الموضة والرفاهية ومجتمعية مع امتداد ديناميات خاصة بالموضة إلى مجالات أخرى من النشاط.

5. قائمة المراجع:

- 1-Bajomée Alain, **Eléments d'anthropologie culturelle**, éditions du lefal, liège Belgique, 2012.
- 2- Cazeneuve Jean, **L'ethnologie**, Larousse, 1967
- 3-Delaporte Yves, **le signe vestimentaire**, in l'homme, tome 20 N°3, 1980
- 4-Delaporte Yves, **Pour une anthropologie du vêtement**, actes des journées de rencontre des 2 et 3 mars 1979, Museum national d'histoire naturelle, 1981, pp. 3-13
- 5-Despanders Yvonne, **le vêtement dans les sociétés traditionnelles** , in jean poirier (sous dir) , **histoire des mœurs** , éditions Gallimard , Paris, 1990.

بن معمر عبد الله